محاضرة رقم (١١)	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	اللغة العربية
المادة باللغة الانجليزية	Dialects
المادة باللغة العربية	اللهجات
المرحلة	دكتوراة/ لغة
اسم التدريسي	أ. د. جاسم محمد سهيل
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	The relationship between Arabic dialects and Quranic readings
عنوان المحاضرة باللغة العربية	العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية
رقم المحاضرة	(١١)
المصادر والمراجع	دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ، جزاء محمد حسن.
	من لغات العرب لهجة هذيل ، عبد الجواد الطيب.
	القراءات واللهجات ، عبد الوهاب حمودة.

٢- قولهم: ((شَرٌّ ما أَجاءَكَ[١] إلى مُخَّةِ[٢] عُرْقُوبٍ[٣])).

إذ روي فيه ((أَشَاءَك)) وهي لهجة تميم.

٣- قولهم: ((دَغْرًا لاصَفًّا)) ، روي ((دَغْرَى لا صَفًّى)) ، و ((دَغْرٌ لاصَفٌ))[٤].

ذكر الميداني أنَّ ((دَغْرَى)) لهجة الأزد، و ((دَغْرًا)) لهجة غيرهم.

سادسًا: العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية:

تُعدُّ القراءات القرآنية مصدرًا أصيلًا لدراسة اللهجات العربية القديمة؛ ولأنها المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدًا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، فهي أصل المصادر جميعًا في معرفة اللهجات العربية؛ لدقة المنهج الذي كانت تنقل به تلك القراءات[٥]، وقبل الدخول إلى صلب الموضوع لابد من تعريف موجز بالقراءات وما يتعلق بها.

---

(١) أي ألجأك. ومخة عرقوب أي عرقوب الرجل؛ لأنه لا مخ له.
والمعنى ما ألجأك إليها إلا شرٌّ . التاج (٣/٢٢٤) (عرقب).
(٢) المخ: نقي العظم، والمخة: الطائفة منه، وذكر أنَّ العرقوب لا مخ فيه، وإنما يحوج إليه مَن لا يقدر على شيء.
(٣) جمهرة الأمثال (١/٥٤٩)، واللسان (جيأ، عرقب، مخخ) ، والمستقصى (١/١٣١).
والعرقوب: العَصَب الغليظ المُوَتَّر فوق عقب الإنسان، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، والعرقوب: لا مُخَّ له. ويضرب مثلًا لكل مضطر إلى ما لا خير فيه. وقيل: يضرب عند سؤالك اللئيم، أعطاك أو منعك.
(٤) مجمع الأمثال (١/٣٤٥)، واللسان والتاج (دغر).
والدغر: الاقتحام من غي تثبت، ومعناه: اقتحموا عليهم ولا تُصَافّوهم. ويضرب في انتهاز الفرصة.
(٥) سواء أكانت هذه القراءات صحيحة أم شاذة، فهي كلها يمكن الاعتماد عليها في معرفة اللهجات العربية؛ لأنها بعد صوره لاختلاف اللهجات أو أنها تحمل في طياتها اللهجات كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين.

تمهيد: تعريف موجز بالقراءات:

أ- تعريف القراءات القرآنية:

هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلاف النطق بها معزوة إلى علماء القرآن ومجوّديه ومقرئيه[1].

ب- حديث الأحرف السبعة ومنطق التيسير:

ورد في عدَّة أحاديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ((إنَّ هذا القرآن أُنزِلَ على سبعةِ أَحرُفٍ، فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه))[2].

وقد اختلف العلماء في تحديد المراد بالأحرف السبعة إلى أقوال كثيرة منها: فمن العلماء من رأى أنها اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم. ومنهم من يرى أنَّ المراد بالسبعة ليس حقيقة العدد بل المراد التعدد والكثرة[3] من أجل التيسير والتسهيل والتوسعة.

فنزول القرآن على سبعة أحرف سببه التيسير على العرب والتدرج في توحيد لهجاتهم لاختلافها وتباينها وعدم مقدرة بعضهم التحول عن لهجته ولاسيما أولئك الذين انعزلوا في مناطقهم وداخل قبائلهم فلم يتمكنوا من اللغة الأدبية الموحدة، وكما راعى الإسلام ما رسخ في حياتهم من عادات سيئة فتدرج في توحيدها، كذلك راعى اختلاف لهجاتهم فتدرج في توحيدها بأن أجاز لهم القراءة على الأحرف السبعة ولم يلزم العرب بتلك اللغة الأدبية – في أول الأمر – مراعاةً لواقعهم اللغوي؛ و لأنه جاء للعامة والخاصة بل للناس كافةً.

---

(١) فالقراءات ما هي إلا الصور النطقية المتعددة لبعض ألفاظ القرآن وهي تتعلق باللفظ دون المعنى.

(٢) صحيح البخاري (٦/٢٢٨)، وصحيح مسلم (١/٥١٠).

(٣) وهو أسلوب شائع في كلام العرب.

تنبيه: إنَّ حقيقة الاختلاف بين الأحرف السبعة هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وتناقض. فهي حل لمشكلة اختلاف نطق قبائل العرب وقت نزول القرآن، فقد يسَّر الله عليهم الأحرف السبعة قراءة القرآن بوجوه من النطق لا يترتب عليها أي اختلاف في المعنى أو تغيير في نظم القرآن.

ت- القراءات السبع[1]

إنَّ اختلاف الناس في القراءة بدأ بعهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين صحابته وقد استمر هذا الاختلاف فيما بعد – ثم بدأت تظهر كتبٌ في القراءات لعدد من العلماء كمقاتل بن سليمان ت(١٥٠) وأبي عمرو بن العلاء (١٥٩)، وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩) وغيرهم ويبدو أنَّ عبارة القراءات السبع بدأت تظهر على رأس المئتين، لسبعة من القراء اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة وهم: نافع (١٦٩)، و ابن كثير (١٢٠)، وابو عمرو (١٥٤)، وعاصم (١٢٧)، وحمزة (١٥٦)،(ويعقوب الحضرمي(٢٠٥)، وابن عامر (١١٨).

والإمام أبو بكر بن مجاهد ت(٣٢٤) هو من سبَّعَ القراءات السبع[2] وشذَّذَ ما عداها، مهتمًا بضبط الروايات، وتحرير أوجه الخلاف والتمييز بين الطرق ووضوح العبارة التلخيص غير أنه حذف اسم يعقوب وأثبت مكانه على بن حمزة الكسائي (١٨٩). وقد اشتهرت إلى جانب هذه القراءات السبع ثلاث أخرى تمت بها عشرًا: هي قراءة يعقوب كما تقدم، وخلف (٢٢٩) ، وأبي جعفر (١٣٠).

ولابدَّ من التنبيه على أنَّ نسبة قراءات القرآن إلى هؤلاء الأئمة نسبة اعتناء وقراءة وإقراء لا نسبة اختراع وابتداع، فالقرآن كلام الله المُوحى به إلى رسول الله، والقرآن كانوا يروون قراءة النبي على وفق ما نقله الصحابة إلى من بعدهم من التابعين.

وأئمة القراءة غير محصورين في هؤلاء بل هم كثيرون، وقد كانت غاية ابن مجاهد من اختيار هؤلاء السبعة الحد من حركة اختيار القراءات التي شاعت زمانه[3]، ووقع اختياره عليهم لما اتصفوا به من صفات ميزتهم من غيرهم، ولحرصه أيضًا في اختياره على استيعاب الأمصار

---

(١) هذه القراءات السبع هي بعض الأحرف السبعة لا كلها كما هو مقرر عند العلماء.

(٢) في كتابه المسمَّى (كتاب السبعة في القراءات) وهو مطبوع.

(٣) فقد ذكر بعض المؤلفين في كتابه -في هذه المدة- خمسة وعشرين قراءة، وذكر آخر عشرين قراءة...وهكذا.

الخمسة التي أرسلت إليها المصاحف في أيام عثمان (رضي الله عنه) فهم من البصرة والشام والمدينة والكوفة ومكه.

ولابدَّ من الإشارة إلى الوهم الذي وقع فيه بعض الناس عندما قالوا أنَّ القراءات السبع هي الأحرف السبع الواردة في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف. والأمر بخلاف ذلك، فالأحرف السبعة لا علاقه لها بهؤلاء القراء السبعة فما ورد في الحديث عن الأحرف السبعة إنما يشير إلى الرخصة والسعة التي أذن بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في القرآن، أما القراءات السبع وكل ما عداها من قراءات فهي أثر من آثار تلك الرخصة، وما توافق عدد (السبعة) في الحديث الشريف وعدد القراء الذين اختار ابن مجاهد قراءاتهم إلا محض مصادفة.

فالخلاصة إنَّ القراءات السبع أُختيرت بحسب شروط معينة ، لا على أنَّ كلًا منهما حرف من الأحرف السبعة، ولا على أنها وحدها القراءات المتواترة، فالعشر متواترة أيضًا. وبذلك تكون القراءات السبع والعشر جزءًا من الأحرف السبعة، وليسن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

ث – أقسام القراءات:

قُسِّمَت القراءات من حيث القبول والرد على قسمين: مقبولة ومردودة فالقراءة المقبولة هي كل قراءة صح سندها، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، ووافقت العربية ولو بوجه. وهذا يعني أنَّ للقراءة المقبولة ثلاثة ضوابط:

١– ضابط السند أي أن تكون ثابتة مع صحة سندها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

٢– ضابط الرسم أي موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالًا.

٣- ضابط العربية أي موافقة العربية ولو بوجه، وسواء أكان هذا الوجه فصيحًا أم أفصح مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه(١).

والقراءة المردودة هي كل قراءة فقدت أحد الضوابط السابقة.

ج- أنواع القراءات:

١- القراءة المتواترة: هي التي نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه.

٢- القراءة المشهورة: هي التي صحَّ سندها، ولم تبلغ درجة التوتر، ووافقت العربية ورسم المصحف، واشتهرت عند القرَّاء فلم يعدُّوها من الغلط أو الشذوذ.

٣- القراءة الآحادية: هي التي صحَّ سندها وخالفت رسم المصحف أو العربية أو كليهما ولم تشتهر الاشتهار المذكور آنفا.

٤- القراءة الشاذة: هي القراءة التي لم يصح سندها، أو خالفت الرسم، أو لا وجه لها في العربية.

٥- القراءة المدرجة: المدرجة هي العبارة التي زيدت في القراءة على وجه التفسير.

٦- القراءة الموضوعة: هي القراءة المنسوبة إلى قائلها من غير أصل، أو المكذوبة المختلفة المصنوعة المنسوبة إلى قائلها افتراءً.

وهذا النوع لا يعد قراءة، وإنما عُدَّ كذلك نسبةً إلى راويه.

---

(١) يرى بعض الباحثين أنَّ الشرط المعتبر في القراءة القرآنية هو التواتر فحسب؛ لأنه لم تثبت قراءة بالتواتر، ثم خالفت مصحفًا ولا عربية. وإذا كان من الأنسب الاقتصار على شرط التواتر، أو أن يعد الشرطان الآخران شرطين بالتبعية لا بالأصالة.

ج- أحكام القراءات

القراءات المتواترة والمشهورة قرآن باتفاق، يُقرأُ بها في الصلاة و يُتعبَّدُ بها، ويتمثل فيها الإعجاز والتحدي ويُكفَّر جاحدها.

أما القراءات الآحادية التي وافقت العربية، وصحَّ سندها، وليس فيها علة أو شذوذ، وخالفت الرسم فهي مقبولة، ولكن لا يُقرأ بها؛ ولكونها آحادًا ولأنها مخالفة لما قد أُجمع عليه. وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به و يكفر من جحده. أما القراءة الآحادية التي لا وجه لها في العربية، والقراءة الشاذة، والقراءة المدرجة، والقراءة الموضوعة فهي قراءات مردودة، والقراءة المردودة لا تعد قرآنًا، ولا يقرأ بها في الصلاة أو في غيرها تعبدًا على الرأي الصحيح، ويجوز قبولها على رأي جمهور العلماء في تفسير النصوص واستنباط الأحكام والعمل بمدلولها إذا كانت مقبولة من حيث السند، ولكن كان ردها من جهة المتن ويجوز قبولها أيضًا في القضايا اللغوية، فهي تعد أو تستعمل شواهد يصح استنباط القواعد اللغوية منها؛ لأنها أوثق من أبيات شعر مجهولة القائل.

خ - القراءات التي تصلح لدراسة اللهجات من خلالها:

ما من شك في أنَّ علماء القراءات بمنهجهم الدقيق في علمهم، وبالضوابط الثلاثة التي اصطلحوا عليها لقبول القراءات أو ردها وبتصنيفهم القراءات على وفق تلك الضوابط إلى هذه الأنواع التي ذكرناها قد قدموا للدراسة اللغوية خدمة جليلة، وقدموا لعلماء اللغة مادة طيبة، وقد تعوِّض بعضًا من تقصير اللغويين والنحاة الأقدمين في الاهتمام باللهجات ودرسها، وإذا كان من المسلم به أنَّ القراءة المتواترة والقراءة المشهورة تستوفيان الضوابط الثلاثة المشار إليها، التي تَسِمُ النص القرآني بالوثاقة التي لا نجدها في أي نص آخر فلا مراء في أنَّ هذين النوعين من القراءات عليهما المعوَّل في دراسة اللغة العربية ولهجاتها.

وإذا كان من المسلَّم به أيضًا أنَّ القراءة المدرجة والقراءة الموضوعة ليستا من القراءات حقيقةً، ولم تسمَّ كل منهما قراءة إلا نسبةً إلى راويها، فضلًا عن أنَّ الموضوعة هي إما منسوبة من غير أصل أو مكذوبة مختلفة، فلا مراء في أنَّ هذين النوعين اللذين يفتقدان عنصر الوثاقة ينبغي استبعادهما من حيز الدراسة اللغوية ، كما استبعدا من مجال علم القراءات.

وقد رأينا أنَّ من القراءة الآحادية ما صحَّ سنده، ووافق العربية، ولكنه خالف رسم المصحف. وإذا كان لعلماء القراءات حجتهم في عدم تجويز القراءة به برغم قبوله، فإنه في اعتقادي صالح؛ لأن ينظر فيه عند دراسة اللهجات.

ويشبه هذا النوع من القراءة الآحادية القراءة الشاذة التي صحَّ سندها ووافقت العربية ولكنها خالفت الرسم. ولا غرابة في ذلك، فقد نقل ابن الجزري في النشر عن ابن دقيق العيد أنَّ الشواذ نقلت نقل آحاد.

ويرى بعض الباحثين أنَّ القراءة الشاذة هي التي تفتقد موافقة المصاحف العثمانية. ومهما يكن من أمر هذا التداخل بين الآحاد والشواذ، وأمر اختلاف علماء القراءات أصلًا في تحديد الشواذ، فإننا نرى أنَّ تلك القراءات التي صحَّ سندها ووافقت العربية، سواء أسميت آحادًا أم شواذًا، صالحة لأن ينظر إليها في دراسة اللهجات، ما دامت قد استوفت ضابطين اثنين من الضوابط الثلاثة، أحدهما هو الأصل الذي لا غنى عنه وهو صحة السند.

ويميل بعض الباحثين إلى تطبيق هذا المعيار الذي أشار إليه ابن جني على كل قراءة صح سندها، ولكنها خالفت العربية، فصحة السند إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كافية في رأينا لتوثيق هذه القراءة، وجعلها مقبولة في مجال الدراسة اللغوية بعامة، ودراسة اللهجات بخاصة.

تنبيه: لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ القراءات لا تمثل في بعض الأحيان لهجات قرائها أو قبائلهم أو بيئاتهم؛ لأنَّ هؤلاء القراء ليسوا إلا مجرد ناقلين للقراءات التي تلقوها ثم عرضوها على شيوخهم. وقد يكون الشيخ نقل عدد من الشيوخ ينتمي كل منهم إلى قبيلة ثم أنَّ بعض هؤلاء القراء قد يروي

عنهم أكثر من قراءة، وربما اختلفت هذه القراءات في انتمائها إلى هذه اللهجة أو تلك. ولعل خير دليل على عدم تمثيل القراءات أحيانًا لهجات قرائها وبيئاتهم أنَّ ابن كثير قارئ مكة كان أكثر الهامزين برغم ما هو معروف من أنَّ البيئة المكية ومنها قريش تسهِّل الهمزة ولا تحققها.

تنبيه آخر: ذكر بعض العلماء أنَّ ماروته القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة ليس إلا المشهور منها، الكثير الشيوع الذي تأصل في النطق. فالقراءات المشهورة اليوم عن السبعة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهورًا في الأمصار الأُول قل من كثر، ونزر من بحر.

١-القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم.

هناك ثلاثة مذاهب بشأن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي على النحو الآتي:

١-مذهب يرى أنَّ القرآن نزل بلهجة قريش فحسب، فهؤلاء يرون أنه لم ينزل إلا بلهجة قريش.

٢- يرى هذا المذهب أنَّ لهجات بعض القبائل العربية قد شاركت قريشًا في نزول القرآن بها، لكن تعددت الآراء في أسماء هذه القبائل، فقيل نزل القرآن على سبع لهجات، وقيل على أربعين، وقيل على خمسين ...وهكذا، وقد ذكرت المصادر أسماء هذه القبائل وفصلتها[١].

٣-يرى هذا المذهب أنَّ القرآن قد نزل بكل لهجات العرب. ولكلٍّ من هذه المذاهب حججه ومناقشاته، وليس هذا مكان ذكرها[٢].

وقد مال عدد من الباحثين إلى أنَّ القرآن نزل بغير لهجة من لهجات العرب؛ لأنَّ اللهجة التي نزل بها القرآن إنما هي مزيج من اللهجات المختلفة، بدليل الألفاظ المختلفة التي تعود إلى مختلف القبائل. قال ابن عبد البر: (من قال نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي الأغلب؛ لأنَّ غير لغة

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (١/١٣٥).

(٢) ينظر. تفصيل ذلك في كتاب لغة قريش لمختار سيدي (٣٥٧-٤٨٢).

قريش موجودة فيه). وقال أبو شامة: (إنَّ القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب؛ لأنه نزل عليهم كافة). ويرى بعض الباحثين أنَّ لهجات بعض هذه القبائل التي ذُكِرَت استعملتها قريش كاستعمال العرب لبعض الألفاظ غير العربية فنزل بها القرآن الكريم مع احتفاظها بأصولها القديمة.

٢-اللهجات العربية في القراءات القرآنية

تضمنت القراءات القرآنية الكثير من اللهجات العربية[١] لا يسع المقام الإحاطة بها؛ لذا سأذكر أمثلة متنوعة مرتبة على النحو الآتي :

أولًا: المستوى الصوتي

١- تحقيق الهمزة وعدمه

لقد اهتم علماء القراءات اهتمامًا كبيرًا بالهمزة، فعقدوا لها فصولًا مطولة تحدَّثوا فيها عن أحكامها محققة أو مبدلة أو محذوفة، وفصلوا كذلك صور مجيء الهمزة سواء أكانت همزة مفردة أم همزتين مجموعتين في كلمة أو في كلمتين، وكذلك بينوا أحكامها عندما تكون ساكنة أو متحركة أو غير ذلك من مسائل تتصل بها مما ليس هذا مكان تفصيله[٢]، لذا أكتفي بذكر أمثلة متنوعة توضح ذلك.

- الهمزة المفردة إما أن تكون ساكنة وإما أن تكون متحركة فإن كانت ساكنة فإنَّ ما قبلها إما أن يكون مضمومًا، نحو: يؤمنون أو مكسورًا، نحو: جئت، أو مفتوحًا، نحو: فأذنوا. وقد قرأ أصحاب القراءات العشر ذلك كله بتحقيق الهمزة إلا أبا جعفر، فقد قرأ بإبدال الهمزة حرف مد بحسب حركة ما قبله، واستثنى من ذلك كلمتين هما: (أنبئهم) ، و (نبِّئهم).

---

(١) يُنظَر: تفصيل ذلك في كتاب: اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي من ص٩٦ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه.

تنبيه: المقصود من هذا المبحث ذكر أمثلة من القراءات تصوِّر القراءات اختلاف اللهجات من خلالها.